مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 01 بتاريخ 2021/03/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

اللهجات العربية في فكر العلماء القدامى

الدكتور أحمد عبد الرحمن سماعين

– جامعة الملك فيصل بتشاد – جمهورية تشاد

aasumain1973@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/02/21 م تاريخ التحكيم: 2021/02/26م تاريخ النشر: 2021/03/15م

الملخص:

تعد اللغة العربية ضمن اللغات السامية، وقد انبثقت لهجات كثيرة عنها تحت عوامل عديدة: اجتماعية وجغرافية وتاريخية وسياسية. تنتمي هذه اللهجات العربية إلى قبائل متباينة. وحين جاء الإسلام، ونزل القرآن بلغة مشتركة غير أن بها سمات لهجيّة متعددة. وزاد من تعددها انتشار أهلها في الأصقاع المختلفة. اهتم علماء العربية القدماء بدراسة اللغة المشتركة اهتماما بالغا؛ نظرا لنزول القرن الكريم بها، بل إن القرآن الكريم نفسه حوى من اللهجات الكثير، ففيه أكثر من خمسمئة جذر لغوي يعود إلى قبائل مختلفة متناثرة. جاءت هذه الدراسة لتبين أن الاهتمام باللهجات العربية لم يكن وليد لحظة عصرنا الحالي؛ بل إن علماء العربية القدماء قد أدلوا بدلوهم فيه من خلال دراساتهم المختلفة، ولذا تعتبر دراساتهم نواة لدراساتنا الحديثة.

الكلمات المفتاحية: لغة، لهجة، اللغة المشتركة.

The Arabic dialects in the ancient scholar's perspective

Dr. Ahmat Abderaman Soumaine

University Of King Fysal –Chad

aasumain1973@gmail.com

Abstract:

Arabic language is among the semitic languages, perhaps, Many dialects emerged from the Arabic language through many factors like: social, geographic, historical and political, these Arabic dialects belong to various tribes, and when Islam arrived and the Qur'an was revealed in a common language, nevertheless, it has multiple dialectal features and the spread of Muslims increased the multiplicity, the ancient Arabic scholars paid great attention to the study of the common language, due to the descent of the noble Qur'an, meanwhile, the holy Qur'an itself contain many dialects, as it contain more than five hundred linguistics roots referring to different scattered tribes.

This study came to show that the interest in the Arabic dialects was not a result of our current era. Rather, the ancient Arabic scholars regarded it through their

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

various studies, and that is why the ancient studies are considered as the nucleus of modern studies.
Keywords: Language; Dialect; The common language.

مقدمة:

نظر علماء العربية للغة العربية نظرة موحدة من خلال دراستهم للقرآن الكريم، ومن خلال اهتمامهم بها فيما بعد، وفي الوقت نفسه لم تكن نظرتهم نظرة مجافية للمنهج العلمي لدراسة اللغة؛ لذلك نظروا إليها باعتبارها كلًّا أو كتلة واحدة برغم علمهم أو ملاحظتهم المسبقة بالاختلافات الداخلية، فأية لغة في العالم لابد من أن تخضع لسنن الله فيها، بأن تحمل تشعبا داخلياً منسجما كل الانسجام بين الفروع المكونة له ما دام هناك متحدثون بها، وخاصة إذا كانوا يستغلون مساحات شاسعة، ولذلك لا يمكن أن يُقَعِّدوا لكل نمط أو أداء كلامي تتحدث به العرب، فعملهم في اللهجات عملا ثانوياً، لم يدخل في يدخل في نطاق هدفهم الحقيقي الذي يتمثل بوضع قواعد اللغة العربية الفصحى وتنظيمها، وقد وجهوا نظرهم إلى اللغة من زاوية الفصحى فقط، فأهملوا بذلك الواقع الاجتماعي لها، وظلَّ ما لدينا عن اللهجات قاصراً عن إعطاء صورة كاملة مفيدة عن استعمالها وتطورها[i](1) وكل ما جمعوه من مادة عن اللهجات كان يقاس بالنظر إلى الفصحى[ii](2). الذي لا ريب فيه أن علماء العربية كانت الرؤية عندهم واضحة فيما يخص اللهجات لذلك سموا اللهجات باللغات داخل اللسان العربي، فالذي يؤخذ عليهم أنهم انتقوا اللهجات، فقبلوا بعضها ورفضوا الآخر، والذي قبلوه لم يكن يعزي عزوا صحيحاً لأهله المتحدثين به في كثير من الأحيان وإذا عزره لم يصفوه وصفا بيناً. وما دعاهم إلى ذلك هو حرصهم الشديد إلى العربية المشتركة لاختيار القرآن لها، وبها تقام الصلاة وما إلى ذلك من شعائر دينية إسلامية، فكان أن انطلقوا من هذه النظرة إلى أن كل ما يخالف العربية الفصيحة في نطقها للأصوات كان من الصور اللغوية الفاسدة، لذا لم نحظ عندهم اللهجات العربية القديمة ببعض ما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة[iii]،(3)، ولكنهم مع ذلك نثروا في مصنفاتهم ما يعجز المرء عن احصائه، ويمكن تصنيف التراث اللهجي على النحو التالي:

المصنفات في اللهجات؛ لا يوجد مصنف قديم تخصص في دراسة اللهجات وتحليها بالمنهج الذي نعنيه اليوم ولكن ثمة محاولات من خلال دراسة القرآن أو اللغة الفصحى، فقد ذكرت كتب التراجم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

والطبقات علماءَ تعرضوا إلى اللهجات، وألفوا كتبا تحت اسم اللغات (اللهجات) ذكر صاحب الفهرست كتاب اللغات، ولم يذكر له مؤلفا، بل اكتفى بأنه لجماعة من العلماء، وذكر كتابا آخر باسم (كتاب اللغات) ليونس بن حبيب، وآخر للفراء بعنوان (كتاب اللغات) ونُسب لأبي عمر الشيباني (كتاب اللغات) ولعبد الله بن جعفر (كتاب اللغات) ولأبي عبيدة (كتاب اللغات)[iv]،(4). هذه الكتب المذكورة لم يصل إلينا منها شيء يذكر، لكن وردت منها مقتطفات في بطون كتب اللغة، والمعاجم. يقول ابن دريد نقلا عن كتاب اللغات لأبي زيد وفيه إشارة إلى تعدد اللغات إشارة غير واضحة: "عوى الذئب عوة، وقال آخرون: عَوْيةً[v]،(5) ونقل عنه قوله: سمعت العرب تقول: يأتي على اليومان لا إوقهما طعاما، أي لا أذوق فيهما(6).[vi] فبرغم غياب هذه الكتب إلا أنه لا نكاد نجد معجما أو كتابا من الغرائب إلا ويرجع إليها. يقول صاحب معجم تاج العروس: أمق العين أهمله الجوهري وقال يونس في كتاب اللغات مثل: مأقها وموقها كما في العباب واللسان"(7)[vii]. الملاحظ أن كتب اللغات تذكر الاختلافات في المعنى الواحد أي بتعدد ألفاظه، ولكن لم تذكر أي عزو لآية لغة. بل تكتفي عليها بكلمة (يقول بعض العرب) وما شابه ذلك.

وأورد صاحب كتاب إنباء الرواة لأبي عمرو إسحاق الشيباني كتاب اللغات يقول: "وله من التصانيف: كتاب الخيل، كتاب اللغات، وهو الجيم، ويعرف بكتاب الحروف[viii]"(8) ويبدو أن أبا عمرو من الرواد الأوائل في دراسة اللغة الفصحى، ومن خلال تعرضه للهجات اهتم بها، فقد أوردت له كتب التراجم أكثر من كتاب في لغات العرب، إلا أن خلفه لم يهتموا بها، ويرجح أحمد الجندي إن أبا عمرو ضن بكتاب اللغات عن التلاميذ معتمداً على ما جاء في كتاب مراتب النحويين من أن الشيباني بخل على الناس برواية هذا الكتاب فضاع.

والملاحظ أيضا أن كتب المعاجم اعتمدت بشكل كبير على هذه الكتب المفقودة في حديثها عن اللهجات فنجد صاحب الجمهرة عاد إلى أقوال أبي زيد بصيغة القول الماضي (قال أبو زيد) نحو ثمان وثلاثين مرة، وبصيغة المضارع أربع مرات، وعاد إليه الأزهري أكثر من مائتي مرة، لكن السمة الغالبة عدم العزو. يقول الأزهري متحدثاً عن التغيرات الصوتية واختلاف اللهجات حولها: "وعنعنة بني تميم: إبدالهم الهمزة عيناً، كما قال ذو الرمَّة[ix]: (9)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أعَنْ توسَّمت من خرقاء منزِلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم أنَّ، وتَمِيم، وقيس، وأسدٌ، ومن جاورهم يجعلون ألف أنَّ إذا كانت مفتوحة عيناً، يقولون: أشهد عنَّك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف، قال: العرب تقول: لأنك تقول ذاك، ولعنَّك تقول ذاك، معناهما لعلك، ويقال ملأ فلانٌ عِنان دابته، إذا أعداه وحمله على الحضر الشَّديد(10)[x]. كما يشرح باقتضاب اختلاف اللهجات في البنية، حيث يقول: "وقال الليث: لغة تميم (شِهِيد) بكسر الشين يكسرون فعيلاً في كل شيء كان ثانيه أحد حروف الحَلْق، وكذلك سفلى مُضَر، يقولون فِعيل. قال: ولغة شنعاء يكسرون كل فعِيل، والنصب اللغة العالية"11،[xi]. وهناك كتب في اللهجات ألفت وعزيت لأهلها منها كتاب لغة هذيل لكنه لم يصل إلينا منها شيء، حيث ذكر صاحب أنباء الرواة أن البشتى ألف كتاباً اعتمد فيه على مجموعة من الكتب منها كتاب (لغات هذيل) لعزيز الفضل الهذلي(12)[xii].

المصنفات في لغات القرآن: ومن خلال التأليف في القرآن الكريم تعرض العلماء للهجات العرب حيث أُلفت كتب باسم (لغات القرآن)، فقد أورد ابن النديم: كتاب لغات القرآن ونسبه إلى أبي زيد، وآخرين بنفس الاسم لكل من الأصمعي والهيثم بن عدي. وذكرت بعض المراجع كتاباً بنفس العنوان لابن دريد ولكنه لم يكمله؛ إلا أن الكتب التي ألفت تحت عنوان (لغات القرآن) لم يصل منها إلينا إلا اثنان أولهما رسالة باسم "ما ورد في القرآن من لغات القبائل) لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت(214هـ) والثاني لإسماعيل بن عمرو المقرئ ت(429هـ) بعنوان (اللغات في القرآن). المادة اللهجيّة الموجودة في الكتاب الأخير كلها معزوة إلى قبائلها، إلا أن الغالب في المفردات التي وردت مرتبطة بالمعاني، ففيها ما نسب لقريش وهذيل وكنانة وقس وغطفان وثقيف وحمير والأزد وطي وخزاعة إلى غير ذلك. ويمكن أن تعتبر النواة الأولى لدراسة اللهجات، ويمكننا تناول بعض النماذج من هذا الكتاب لتبيان المسلك الذي انتهجه المقرئ.

يبدو أن منهج المقرئ منهج تتبعي بدأ فيه من سورة البقرة، حيث يعرض المفردة ويبين معناها ويعزوها إلى القبيلة التي نطقت بها، يقول: قال الله عز وجل (أنؤمن كما آمن السفهاء) (13)[xiii]، والسفيه الجاهل بلغة كنانة(14)،[xiv] ويقول في قوله تعالى: (يأتوكم من فورهم هذا) (آل عمران: الآية125) يعني من وجوههم بلغة (هذيل) و(قيس عيلان) و(كنانة)، فعزى لقريش (81) مفردة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ولهذيل(35) ولكنانة (25) ولجرهم (19) ولحمير (17) ولتميم (14) ولعمان (6) ولأزد شنوءة (4) ولخثعم (4) ولطي (3) ولمزحج (3) وللأوس (2) والخزرج (2) وذكر عددا من الألفاظ للقبائلالآتية: أنمار وسدوس ومزينة، وكندة ومدين ولخم وعامر وسبأ وحنيفة وغسان وحضرموت وسعد واليمن وثقيف وتغلب والأزد وأهل اليمامة وبني الأشقر، وخزاعة.

كتب المعاجم: اهتم أصحاب المعاجم باللهجات أكثر من غيرهم، وإدراكهم أن اللغة المشتركة كونها لغات العرب وليست لهجة معينة. يقول الأزهري: (وقد دعاني إلى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها"([xv]). يبدو من كلامه أن رؤية اللهجات عنده واضحة، وكونها كلها حجة، ومتساوية أمام منهجه المتبع. فقد ذكر لغات العرب ولم يقل اللغة الفصحى، أو لغة قريش كما هو سائد في بعض الدراسات لبعض علماء العربية، فقد أورد لفظة (لغات) أكثر من تسعين مرة ولفظ (لغة) مفردة أكثر من أربعمائة مرة، للدلالة على اختلاف الألفاظ في المعنى أو العكس. ومن نماذج عزوه للهجات يقول في مادة (خبع): قال الليث: (الخبع لغة تميم في الخبء. وامرأة خبعة خبأة بمعنى واحد، قال: وخبع الصبي خبوعا إذا فحم من البكاء، أي انقطع ([xvi]). والجانب اللهجي هنا يكمن في المستوى الصوتي إذ تؤثر تميم العين على الهمزة إذا صلح ورودهما فيه.

من القبائل التي ذكرها بالاسم مسبوقة بلغتها: تميم حيث وردت نحو ست عشرة مرة. وهذيل وردت إحدى عشر مرة. يقول: (قال الأصمعي السرحان والسيد في لغة هذيل: الأسد. وفي لغة غيرهم الذئب.

وحينما يتحدث عن اللغات المتداخلة بين السين والصاد، يناقش ذلك معللا التغيرات التي تحدث، ويذكر أسماء القبائل العربية التي تنطق بهذا أو ذاك يقول: "وقال الفراء: إذا كان بعد السين طاء أو قاف أو غين أو خاء، فإن تلك السين تقلب صادا. قال: ونفر من (بلعنبر) يصيرون السين إذا كانت مقدمة، ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء صادا. وذلك أن الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك، فينطبِق به الصَّوت، فَقُلِبت السين صاداً صورتها صورة الطاء، واستخفوها، ليكون المخرج واحداً، كما استخفوها الإدغام، فمن ذلك قولهم: السِّراط، والصِّراط، قال: وهي بالصاد لُغة قريش الأولين التي جاءت بها الكتاب، قال: وعامة العرب تجعلها سيناً"(17).[xvii] وذكر قريشاً أربع مرات وقيس ثلاث

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مرات، وحمير ثلاث مرات، إلى طي. تلك هي نماذج من ذكر للغات القبائل. مثله نجد معجم جمهرة اللغة الذي أورد نحو ثلاث عشرة لهجة ومعجم شمس الكلوم لنشوان الحميري؛ إضافة إلى معاجم الموضوعات(18).[xviii]

وأهم مصادر اللهجات-إضافة إلى ما ذكر -كتب النوادر ومن عني النادر يعني الشذوذ وقد اهتم بها علماء العربية كثيراً حتى أننا لا نكاد نجد عالماً أو مهتماً في بداية التدوين لم يدل بدلوه في هذا الفن من التأليف، وقد أوردت كتب التراجم كثيراً من الكتب حتى جاءت باسم (نوادر) ونسبتها إلى هذا العالم أو ذاك. وقد أحصى الدكتور أحمد الجندي أكثر من عشرين كتاباً بهذا الاسم إلا أن هذه المصنفات فُقد أغلبها ولم يصل منها إلينا إلا كتباً قليلة مثل كتاب النوادر لأبي زيد وهو أقدم كتاب باق من هذا النوع، وكتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي، وكتاب النوادر لأبي إسماعيل ابن القاسم القالي المتوفي في القرن الثالث الهجري. "والمادة اللغوية الواردة في كتب النوادر تُمثِّل اللهجات العربية المشهورة والمغمورة في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيداً. وليست كل الألفاظ الواردة في كتب النوادر نادرة أو غريبة كما تُوهِم عنواناتها، فهي تُورِد النار الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها، وكثير من الألفاظ التي وردت فيها لا يمكن أن تعد من نوادر اللغة وغريبها، بل تكاد تكون من أفصح الفصيح وتشهد بذلك كتب النوادر نفسها"[xix]. والمتتبع لكتب النوادر يلاحظ أن اللهجات الواردة فيها هي في الغالب ما فات علماء اللغة، حينما دونوا اللغة واستنبطوا القواعد، فهي إذن "أنماط استعمالية للهجات قبائل متعددة، قد خالفت ما قدمه علماء اللغة من وصف للعربية الفصيحة، وليس شرطاً أن تكون هذه القبائل مغمورة، فقد تكون من القبائل العربية المشهورة التي أخذت عنها اللغة، نحو تميم، وأسد، وقيس، وهذيل، وطيء..."(نفسه: ص24).

وبرغم فقدان هذه الكتب إلا أن أصحاب المعاجم واللغة كثيراً ما استشهدوا بها واقتبسوا منها وهذا يجده المتتبع لكتاب المزهر للسيوطي، حيث يستشهد كثيراً بأقوال يونس بن حبيب في كتابه النوادر يقول السيوطي: "قال يونس: أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب، فيهمزون النبي والبرية والذرية والخابية. قال: ومما تركت العرب همزة قولهم: ليست له روية وهو من روأت في الأمر"([xx]). وإذا أمنعنا النظر في أقوال يونس بن الحبيب التي ناقش فيها لهجات العرب، فنجده ناقشها من جميع المستويات، ففي المستوى الصوتي نجد في أحوال الهمزة ما تقدم ذكره حيث أهل مكة يهمزون بخلاف الآخرين، وفي الإبدال يقول

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

يونس بن حبيب: تميم تقول هيْهات، وأهل الحجاز تبدل الهمزة هاء، فيقولون أيهات. والحجازيون يقولون (تخذت ووخذت)، وتميم تقول اتخذت. وأهل الحجاز يقولون جُونة بلا همز أما تميم، فيقولون جؤْنة بالهمز. ويقول الحجازيون القِير وتميم القار([xxi]). وفي تناوب الحركات واختلاف اللهجات حولها يقول يونس في نوادره: أهل الحجاز هؤلاء تركته بتلك العِدْوة وأوطاته عِشوة ولي بك إسوَة وقِدْوَة وتم تضم أوائل الأربعة"([xxii]). ويقول الحجازيون رضوان بالكسر والتميميون يقولون رُضوان بضم([xxiii]). وعلى مستوى البنية مثلاً أهل الحجاز يقولون بطش يبطِش، بكسر عين المضارع، وتميم تقول بطش يبطُش بضمها.

وأهم كتب النوادر الباقية والتي اهتمت بها كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري وقد أورد لهجات لعدد من القبائل العربية من مستويات متعددة في الجانب الصوتي ومستوى البنية والإعراب إضافة إلى المستوى الدلالي، وقد " كان أيضاً شديد الاهتمام بعزو اللهجات إلى قبائلها حتى إن ابن دريد نقل في جمهرته ما بين من اللغات عن أبي زيد" ([xxiv]).

كتب النحو: انصبت جهود علماء النحو على اللغة المشتركة "تطرق النحويون إلى كثير من الظواهر اللغوية التي تعتبر من قبيل اللهجات العربية لكن نظروا إليها من خلال الجانب التركيبي أو النحوي وقد وردت هذه الظاهرات اللغوية في نماذج من الشعر العربي الصحيح وأخر قابلتهم في آيات القرآن الكريم، وهذه الظواهر تخالف ما ساقوه من قواعد ثابتة وما قننوه من نظريات فكان لابد من شرحها، والبحث عن مبرر منطقي مقبول فكانوا في مثل هذه الحالة يكتفون بالقول: إن النمط جاء على لغة الشاعر وكأن للشاعر لغة خاصة به، وهناك من يخرجها بأنها وردت طبقاً للهجة معينة. وقد يضطر النحاة عندما يواجهون التعبيرات الفصيحة التي يجوز فيها غير وجه إلى تعليل هذا التعدد بأن كل وجه منه يمثل لهجة ما، وكانوا إذا صادفوا تركيباً من لهجة ما لا يتسق مع القاعدة، أو مع ما سمعوه من أحد أبنائها أعلنوا على الفور انتماء التركيب إلى هذه اللهجة"([xxv])، ذلك أنهم لم يجدوا بدا للحديث عن اللهجات، لأن المنهج الذي وضعوه قبلاً فرض عليهم ذلك، وبرغم المنهج المتبع عندهم، إلا أن معالجاتهم للهجات تتفاوت من جيل إلى آخر، فعندما نقرأ في الكتاب لسيبويه نجده يشير إلى ما نعده اليوم من قبيل اللهجات، فيورد كثيرا عبارات من نحو "وسمعناه ممن ترضى عربيته"، "أو وناس من العرب يقولون" أو "قوم من العرب يقولون" أو"بعض العرب الموثوق بعربيتهم". أو "وسمعت من بعض العرب يقول"، أو "قال بعض العرب"،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أو "هي لغة"([xxvi]). وهذا يدل على إدراكهم للاختلافات داخل اللغة الفصيحة التي يعالجونها. ورغم أن الكتاب لسيبويه وُسِمَ بقرآن النحو، فإن معالجاته في هذا الجانب في مجموعها أقوال شبه عامة لا يهتم فيها بذكر القبائل إلا قليلاً، ومع تعميمه ذلك ذكر بعض القبائل أو بيئاتهم مثل: الحجاز وتميم وأسد وفزارة وطيء وبكر بن وائل، ربيعة وقيس وهذيل، وبنو العنبر. وحصرت لهجاته بين الكتلتين الحجاز وتميم. ومع وجود المنهج الذي وضعوه فإن سيبويه يسم بعض اللهجات بالرداءة، فيقول مثلاً: لغة رديئة، أو ضعيفة، أو خبيثة.

منهج القدماء في دراسة اللهجات:

لاحظ العلماء ذلك التطور الذي يحدث في اللغة العربية، وما سموه هم بنشوء اللحن من أهل العربية أنفسهم، فهموا بجمع اللغة ودراستها بقصد الحفاظ على المستوى الرفيع الذي أسموه فصيحاً أيضاً. وكانت الرؤية عندهم واضحة جداً حيث قاموا بوضع منهج محدد لجمع اللغة التي يرون فصاحتها ونصاعتها فما هي يا ترى المعايير التي وضعت؟ يقول الفارابي: **"والذين عنهم نُقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدِي، وعنهم أُخِذَ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتُّكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كِنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فأنه لا يؤخذ عن حضريٍّ قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لَخْم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقِبط، ولا من قُضاعة، وغسَّان وإيَّاد، لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوهم غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علماً وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب([xxvii]).**

فإذا قرأنا هذا النص بإمعان نجدهم قد جعلوا من العزلة أهم المقاييس، لأنها بنظرهم تحقق نقاء الكلمة ونسبها العربي، فالعرب الذين نقلت عنهم العربية مثل تميم فنجد مساكنها في الشرق قرب الخليج، وكنانة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بالغرب على الأحمر وكلا القبيلتين في بيئة معزولة. وإذا نظرنا إلى قبائل قيس، وهذيل وهوازن وطي، فإنها بعيدة عن مناطق الاحتكاك والأطراف المدعاة لتأثر اللغوي، وتكاد تتوسط الجزيرة العربية "قال ثعلب في أماليه: قال أبو المنهال قال أبو زيد: لستُ أقول: قالت العربُ إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوازن وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو سافلة العالية وإلا لم أقل: قالت العرب"([xxviii]).

والقبائل المذكورة التي صارت محل الثقة كلها تنتمي إلى قيس ولا سيما بكر التي منها سعد القبيلة التي رضع فيها النبي صلى الله عليه وسلم([xxix]).أما القبائل التي لم يؤخذ منها، فغالباً كانت تتصل بالأجانب وتعاشرهم أو قريبة منهم، لذلك لم تكن مجال الثقة فهي تعيش في أطراف الجزيرة شرقاً فيما جار اليونان والشام، والفرس مثل: قضاعة وغسان وإياد، أو الشمال الغربي مما يحاذي مصر مثل جذام ولخم، وأجاء من قضاعة أو من الغرب والنوب وفيه كثير من القبائل اليمنية مما يجاور الحبشة، أو تكون القبائل المستثناة من القبائل الحضرية مثل مكة، إذن العامل الداعي للثقة هو العزلة، والعزلة تحققها البداوة أو التطرف عن مناطق الاحتكاك، لذلك نجد البصريين يفتخرون بأنهم نزاعون للبادية ويقولون: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء "يعنون الكوفيين" أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكوميخ وأكلة الشوارز"([xxx]).

ومع ذلك فإن هذا المنهج لم يحترم من كل العلماء العرب من تاريخ العربية، حيث ذكرت المصنفات المتأخرة شواهد من قضاعة ولخم تترتب عليها آراء نحوية. قال السيوطي: "نقل ابن مالك في كتبه لغة لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم واعتراض عليه أبو حيان في شرح التسهيل، وقال ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن"([xxxi]). وهذا المنهج أدى إلى أن يقسم العرب لهجات العرب إلى أقسام:

اللهجات العربية الفصيحة: ومقياسها الذي تقدم من العزلة والبداوة، وكثرة الاستعمال، والموافقة للقياس، وورود الكلمة في القرآن. ولذا وصفوا اللهجات إما فصيحة أو حسنة، لهذا فإنهم يرون أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأوصافهم لغة([xxxii])،مع إن قريشاً لم تنطبق عليها المقاييس التي ذكرت في معيار الفارابي. ويفاضلون بين اللغات التي قبلوها في معيارهم السابق. وهي: قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.

إذ يقول ابن جني "وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أنسابها. فأما رد إحداهما بالأخرى([xxxiii])". وبرغم من أن الحجاز موطن للكثير من القبائل العربية إلا أن نحاة العربية يميلون إلى بعضها في مسألة الفصاحة، لهذا يلاحظ في سيبويه أنه يرجح لغة الحجازيين على غيرهم ويتعصب لها كثيراً ويصفا بأنها اللغة العربية الجيدة، أو اللغة الأجود، فيقول مثلاً في: "هذا باب ما كان من أفعل صفة في بعض اللغات واسماً في أكثر الكلام وذلك: أجدلٌ وأخيلٌ وأفعى. فأجود ذلك أن يكون هذا النحو اسماً، وقد جعله بعضهم صفة"([xxxiv]). وإذا تساوت اللغات، فلم تحدث في الخيار في الاستخدام بأي من اللغتين يقول ابن جني: "وليس لك أن تردَّ إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها"([xxxv]).

إذن المفهوم من هذين النصين السابقين أن معيار الفصاحة هو الكثرة والقلة وتكون اللغة جيدة عندهم إذا كثرت "ومن استعمل القليلة منهما يكون مخطئاً لأجود اللغتين كما قال ابن جني([xxxvi]). ومقياس القلة والكثرة "أمر جدير بالتقدير والقبول إذا كان مجال البحث في لهجة واحدة محددة البيئة والزمن حينئذٍ يكون هذا الاعتبار صحيحاً، ويؤدي إلى نتائج مقنعة، أما إذا كانت هذه الكثرة والقلة بين لغات متعددة البيئة مختلفة الزمن والمكان، فحينئذ تكون الموازنة بهذا الاعتبار خاضعة لظروف غير موضوعية، إذ تخضع لظروف القبيلة وعددها وشهرتها وحظ الراوي من الأخذ عنها"([xxxvii]).

يلي ذلك قياس وهو عامل مؤثر جداً في دارسة القدماء في ترجيح لغة على أخرى "ويكون ذلك بموافقة إحدى اللغتين للقياس أو تعضيده لها إذا وردتا على ظاهرة لغوية واحدة"([xxxviii]). ناقش ابن هشام تمييز كم الخبرية وقال: "إن تمييز الخبرية واجب الخفض" ثم يعلق قائلاً: "ورغم قوم أن لغة تميم جواز نصب تمييز كم الخبرية، إذا كان الخبر مفرداً ورُوي قول الفرزدق:

كم عمَّة لك يا جرير * فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

بالخفض على قياس تمييز الخبرية وبالنصبِ على اللغة التميمية، أو على تقديرها استفهامية استفهام تهكم، أي أخبرني بعدد عمَّاتك وخالاتك اللاتي كن يخدمنني"([xxxix]). و"هكذا" فقد وضع النحاة الأقيسة بناء على ملاحظة استعمال الكلام العربي في الأعم الأغلب ثم حكموه في الاستعمال، وفي آرائهم أيضاً ولقد وصلت المبالغة في النظر إلى علاقة القياس باللهجات إلى حد افتراض وضعه في الأصل مع وضع لغاته المختلفة"([xl]).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وبناء على المعيار الذي سبق وصفوا بعض اللغات بأوصاف تدل على الدونية مثل قول سيبويه: "وزعموا أن أبا عمرو قرأ: يا صالحيتنا جعل الهمزة ياءً لم يقبلها واواً"[xli]. ولم يقولوا هذا في الحرف الذي ليس منفصلاً. وهذه لغة ضعيفة". ومثل قول ابن جني في المستثنى: "تقول: ما قام إلا زيداً أحدٌ فتوجب النصب إذا تقدم المستثنى، إلا في لغة ضعيفة"[xlii]. أو يقولون (هذه لغة رديئة أو خبيثة) أو (لغة مرذولة) أو (هذه شر اللغات أو أنها لغة سوء). إلا أن هذه المعايير ـ أعني معيار تصنيف اللهجات العربية إلى فصيحة أو ضعيفة ـ برغم شهرتها عند النحاة إلا أن هنالك من النحويين لم يأخذوا بها إذ نجد فريقاً من الكوفيين تسامحوا مع ما يسمى عند البصريين شاذاً أو رديئاً، بل إن بعضاً من المحسوبين إلى البصريين لم يلتزموا بتلك القواعد وممن لم يلتزمها ابن مالك في مؤلفاته. قال السيوطي بعد أن تحدث عن معيار القبائل العربية: " ونقل ذلك أبو حيان في "شرح التسهيل" معترضاً به على ابن مالك، حيث عني في كتبه بالنقل عن لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم، وقال: [أبو حيان] ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن"[xliii]. ويبدو من خلال منهج ابن مالك في كتبه أنه كان يتوسع في الأخذ عن القبائل ولا سيما تلك التي رفض البصريون أن يأخذوا عنها فقد اعتمد على لغات لخم وجذام وغسان، وهذه القبائل لم يأخذ عنها البصريون بينما أخذ الكوفيون بلهجاتهم"[xliv]. ونطلع على بعض نماذج من الدرس اللهجي لمعرفة مدى اهتمام القدماء باللهجات:

النموذج الأول: جهود أحمد ابن فارس (المتوفي 395هـ)

هو أبو الحسين أحمدُ بن فارس بن زكريا صاحب تآليف عديدة متنوعة شاملة وطريقته في النحو طريقة الكوفيين"[xlv]. وهو من علماء اللغة المتعصبين للغة العربية حيث يراها أفضل اللغات، ودلل على أفضليتها ببراهين عدة حسب ما يعتقد كما يرى أن اللغة العربية على وجه الخصوص توقيف من الله تعالى، حيث يقول: "إن لغة العرب توقيف"[xlvi]. وفي لهجات العربية يتعصب للغة قريش يقول: إن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة"[xlvii].

وبرغم حبه للقريشيين وتعصبه للهجتهم وتزكيته لها؛ إلا أنه يعترف بفصاحة العرب الآخرين الذين نزل القرآن بلغتهم أيضا؛ فإنه يورد بأن القرآن نزل بلغات متعددة كما قال ابن عباس رضي الله عنه: "نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عُليا هوازن وهم خمس

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

قبائل أو أربع منها سعد بن بكر وجُشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف"([xlviii]). إذن تفضيله لقريش مرجعه العامل الديني فقط لا غير.

وهكذا رغم اعتباره اللغة الفصحى لغة قريش إلا أنه من خلال دراسته لها يجد الكثير من الظواهر التي لا يستطيع ردها فيصنفها على أنها اختلافات في لغات العرب وهذا يعني أنه معترف ضمناً بفصاحتها.

وأوجه اختلاف لهجات العرب كما في كتاب الصاحبي تكون في نواح متعددة: فمن ناحية الصوت: الاختلاف في الحركات فالجمهور من العرب وعلى رأسهم قريش، يقولون "نَسعين" وبعض العرب يقول: "نِستعين". وذكر أن الفراء نسب ظاهرة كسر حرف المضارعة إلى أسد وغيرهم.

وأشار إلى سلب الحركة أو ما يسمى بالتخالف الصوتي بقوله "الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم: "معَكم" و "معْكم"([xlix])، واستشهد بقول الفراء:

ومن يتق فإن الله معْهُ * ورزق الله مؤتابٌ وغادِ

وما سماه الاختلاف في التحقيق والاختلاس يدخل ضمن التخالف الصوتي نحو: "يأمُرُكم" و "يأمُرّكم" و "عفِي له" و "عفْي له". ومنها زيادة حرف صائت طويل أو لنقل مطل الحركة نحو: "أنْظُرُ" و"أنظورُ".

واستشهد بقول الفراء:

الله يعلم أنّا في تلفّتنا يوم الفراق إلى جيراننا صورُ
وأنني حيث ما يثني الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنوا فأنظورُ

وأشار إلى ظاهرة الإبدال وتناوب الأصوات الصامتة حيث أن بعض العرب يبدل همزة أولئك لاماً، وأشار إلى إبدال الهمزة عيناً في مواقف يسيرة دون شاهد منسوب، حيث يقول: "الاختلاف في إبدال الحروف نحو: "أولئك وألالك". واستشهد بقول الأعشى(الأعشى:):

ألالِك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعِظّ الضّلّيل إلا ألكا

كما أشار إلى عنعنة تميم بدون أن يعزوها لهم إذ يقول: "ومنها قولهم: أن زيداً وعنّ زيداً"([l]). كما أشار إلى أوضاع الهمزة واللهجات العربية فيها فمنهم من يحققها، ومن يسهلها أو يحذفها أصلاً، ولكن ذكر ذلك باقتضاب شديد؛ لأنه كما قال "هذا مجال اختصار "يقول في وضع الهمزة": "ومن ذلك: الاختلاف في الهمز والتليين نحو: (مستهزءون و(مستهزوْن)([li]). أما جانب البنية: فأشار فيه تبادل "موقع الأصوات داخل بنية الكلمة تقديماً وتأخيراً مع بقاء المعنى واحداً، وهو ما يعرف بالقلب المكاني، وهو تقديم بعض

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أصوات الكلمة على بعضها لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي"([lii]). وناقش لهجات العرب في التذكير والتأنيث فرأى أن من العرب من يقول: "هذه البقر ومنهم من يقول هذا البقر وهذه النخيل وهذا النخيل. وفي صور الجمع هناك من يجمع أسير على أسرى" ومنهم من يجمعه على أساري"([liii]).

يلاحظ أن ابن فارس ذكر هذه الظواهر مرسلة دون أي عزو لأصحابها مع معرفته المسبقة بقبائلها، لكنه ذكر أن هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، لكن هذا موضع اختصار، وهي ـ وإن كانت لقوم دون قوم ـ فإنها لما انتشرت تعاورها كلٌ"([liv]).

تناول ابن فارس مقاييس اللهجات الفصيحة والمحصورة عنده في لهجة قريش كما تناول اللغات المذمومة حسب تصنيفه، لكن هناك من جاء بعده وتوسع فيها أكثر منه مطبقا في دراستها بعض نظريات العلوم الأخرى فأردت أن أتناولها من خلال كتابات السيوطي الذي خط منهجا مختلفا عمن سبقوه.

النموذج الثاني: نموذج نحوي: واخترت له ابن مالك في كتابيه: التسهيل، والكافية الشافية.

برغم أن السائد في الدرس النحوي قبل ابن مالك لا يهتم كثيراً بما يرد من اللغات أو تحديدها، إلا أن ابن مالك سار في طريقة مختلفة في جميع مؤلفاته المنظومة والمنثورة، فيذكر اللغات ويحدد قبائلها، كما أنه استطاع أن يكسر المعيار المعروف عند المؤلفين قبله، ويلاحظ في منهجه نقطتين: الأولى: عدم تحديد القبيلة وتسميتها في بعض الأحيان، حيث يقول مثلاً في باب (سوف أفعل): "جاء عن العرب سوف أفعل، وسو أفعل، وسي أفعل، وهي أغربهن وهذه اللغات حكاها صاحب المحكم"([lv]). ويورد اللهجات أحياناً جملة ومتناثرة تحت اسم (قالوا)، أو قول بعض العرب أو ومنهم من قال ومن كلامهم مثال ذلك: أيمن الله في القسم حين قال: إيم الله، أم الله، ومن الله، ومُنُ الله ومُ الله وقريباً من قولهم في حاشا: حاش وحشاً([lvi]). وعندما يتحدث عن الأسماء الخمسة يتناول لغات العرب فيها فيقول: "ومن العرب من يقول: هذا هنوك ورأيت هناك ومررت بهنيك وهو قليل، ويشير إلى اللغات في الأسماء الستة بالألفية دون عزوها. ويشير إلى اللغات في النظم إشارة لأن النظم لا يحتمل التفاصيل يقول في الألفية:

أب، أخ، حم، كذلك وهنُ والنقص هذا الأخير أحسن
وفي أبٍ وتاليه يندرُ وقصرُها من نقصنّ أشهرُ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ويشير إلى لغةٍ بمكان آخر في (أخ، وأب)، لم يشر إليها في نظمه دون أن يذكر أهلها. يقول: "ذكر الأزهري أن تشديد خاء أخّ وباء أبّ لغة، ولم يعزها. وقال: عن في الفم تسع لغات([lvii]). وأحياناً يسمى الناطقين بلغة ما، بعد أن يذكرها، تحدث ابن مالك عن المثنى ولغات العرب فيه فيقول: "ولغة بني الحارث بن كعب (اللذان) المثنى وما جرى مجراه الألف في كل حال وبهذه اللغة قرأ نافع وابن عامر والكوفيون إلا حفصاً قوله تعالى: (إن هذان لساحران). ويقول "ووافق الحارثيين بنوا الهجيم وبنوا العنبر. ومنه قول الشاعر: (تزود منا بين إذناه ضربة) وقال الملتمس:

وأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغا لنابه الشجاع لصما

وفي كتابه الكافية الشافية برغم أنها جاءت منظومة والنظم لا يعطي فسحة للشرح وبيان اللهجة وأهلها؛ إلا أن ابن مالك استطاع أن يحشد عدداً هائلاً من الإشارات اللهجية بل وسمّ فيها اللهجة وذكر المتحدثين بها، فمثلا عزا لهذيل فتح عين كل اسم ثلاثي مثل جوزة([lviii]). وعزا لسليم جرهم القول مطلقا مجرى الظن([lix]). وعزا إعراب لدن لقيس وفقعس([lx])، وعزا لخثعم صرف ذا وذات إذا أضيفا إلى ظرف زمان([lxi]). وإلى ربيعة عزا وقفهم على المنون بحذف تنوينه والوقف عليه بالسكون مطلقا. والأزد يبدلون التنوين ألفا فتحة واوا بعد ضمة وياء بعد كسرة([lxii]). وهكذا فإن المنهج في عهد ابن مالك قد أصبح يتطور شيئاً فشيئاً ولكن للأسف توقفت الاجتهادات بعده وإن كان للسيوطي أيضاً محاولات مثل التي حاولها ابن مالك.

النموذج الثالث: جهود السيوطي في مجال اللهجات (المتوفى: 911هـ)

ففي المزهر نهج فيه منهج أهل الحديث في التثبيت من الكلام العربي وما نسب إلى العرب حيث يقول: "هذا علم شريف ابتكرت تربيته واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع. وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق سبيله قبلي طارق، وقد سميته بالمزهر في علوم اللغة"([lxiii]). ورغم أن المزهر كتاب عام تناول فيه السيوطي اللغة العربية من حيث التعريف ما يمكن أن يدخل في فقه اللغة وعلم اللغة اليوم: كالمعرب والمولد والدخيل وغير ذلك كثير، إلا أنه تناول اللهجات العربية بتصنيفات متعددة: مثل اللغات

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الفصيحة، وغير الفصيحة، والرديئة، والمنكرة وغير ذلك من مصطلحات زمانه، وهو في ذلك قد تتبع سابقيه في هذا المجال مثل: أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي وابن جني في الخصائص. ويمكننا الآن اختصار تصنيفه للهجات العرب من خلال التصنيفات التي وضعها: مثل الصحة والضعف والاسترذال وحسبنا نماذج مما ورد في المزهر حيث قسم السيوطي لهجات العرب إلى أقسام مثل: اللهجات الفصيحة: ويعني بها ما انطبق عليه مقياس علماء العربية كخلو اللفظ المفرد من تنافر الأصوات والغرابة والخلف كما هو معروف عند علماء البلاغة؛ إضافة إلى ما وافق اللغة القرآنية وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم. وقريش عندهم أفصح القبائل والتي تنطبق عليها هذه المقاييس. واللهجات الضعيفة: وهي عنده تمحور في اختلافات صوامتها وصوائتها عن اللغة التي يعتبرها فصيحة فيقول: "اللَّهَجَة لغة في اللَّهْجة وهي ضعيفة" والاختلاف هنا إضافة صائت قصير بعد الهاء في (اللهجة). وأنْبَذَ نبيذاً لغة ضعيفة في نبذَ"([lxiv]). والاختلاف هنا زيادة صامت وهو الهمزة التي لم تأت لمعنى جديد في (نبذ) "ولغِب بالكسر يَلْغَب لغة ضعيفة في لَغَب يلْغُبُ([lxv])، أو يكون الاختلاف عن اللغة التي اعتبرها فصيحة دلالي، أي تعدد الألفاظ حول المعنى الواحد مثل: "الخُنْبَعَة، المتدلية في وسط الشفة العليا في بعض اللغات، البُرصوم: عفاص القارورة ونحوها في بعض اللغات"([lxvi]).

وقسم آخر أسماه اللغات المذمومة: يقول السيوطي فيها "أقبحُ اللغات وأنزلُها درجة، قال الفراء: كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحجُّ البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغاتِ العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مُستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ"([lxvii]). وذكر من اللهجات التي يراها مذمومة حسب المقاييس التي حدد بها منهج الدرس اللغوي آن ذاك: الكشكشة: وهي إبدال ضمير المخاطب شيناً في الوقف، وبعض منهم يثبتها في الوقف أيضاً، وهي في ربيعة، ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون: رأيْتُكش وبكَش وعليْكش من يُثنيها"([lxviii]). ورواها بعضٌ لأسد، وهوازن.

ومن اللهجات المذمومة "الكَسْكَسة" وهي في ربيعة ومُضر يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر شيناً([lxix]). وهي كالكشكشة إلا أن السين تحل محل الشين، في هذه اللهجة. وبعضهم نسبها إلى ربيعة ومضر وبكر وهوازن. ومن اللهجات المذمومة: العَنْعَنَة نسبها لقيس وتميم، وهي إبدال الهمزة المبدوء بها عيناً فقالوا في (أنك) عنك وفي (أسلم) عَسلم وفي (أذُن) عُذُن وفي (إن) عِنّ بعين مكسورة.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومنها الفَحفحة نسبها لهُذيل وهي قلب الحاء عيناً. والوَكْم في لهجة ربيعة وهم قوم من كَلْب، وهي كسر كاف الخطاب في عليكِم وبكِم حيث كان قبل ياء أو كسرة، والوهْم في لهجة كلْب نحو منهِم وعنهِم وبينهِم وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة. والعَجْعجة لهجة نسبها لقضاعة حيث يجعلون الياء المشددة جيما يقولون في تميميّ تميمجّ، والاستنطاء لهجة نسبها لسعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار، حيث يبدلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنْطى في أعطِي، والوتم في لغة اليمن بيدلون السين تاء كالنات في الناس، والشَّنشنة لهجة نسبها لليمن تجعل الكاف شيناً مطلقاً كلبَّيش اللهم لبَّيش أي لبيك([lxx]). هذا في كتابه المزهر الذي يعتبر من أميز ما كتب في هذا المجال.

أما في كتابه (همع الهوامع) الذي شرح فيه ما أجمل في كتاب له آخر أسماه (جمع الجوامع) فقد اهتم كثيراً باللهجات العربية وعزوها لأصحابها بصورة قلّما سبقت فهذا الكتاب وإن غلب عليه الفكر والمنطق بعرضه آراء السابقين له في كل مسألة وتفسيرها وتعليلها، إلا أنه يشير إلى أية ظاهرة لهجية يمر بها ما أمكنه ذلك بعد أن يشير إلى أقوال العلماء. ويمكننا أن نشير هنا إلى بعض الظواهر اللهجية التي ذكرها السيوطي وكيف أنه أثبتها إلى أصحابها.

أولاً: ظاهرة الملحق بجمع المذكر السالم فإذا أخذنا لفظ (سنين) نجده قد ذكر لهجات العرب فيها. فذكر أن (سنين) يعربها بعض العرب بالحركات (أي بالضمة رفعاً والفتحة نصباً والكسرة جراً) وإلزامه الياء، هذه الظاهرة عزاها لتميم. يقول السيوطي: "وأما بعض بني تميم وبني عامر فيجعل الإعراب في النون ويلزم الياء"([lxxi]). واشتشهد بقول جرير:

أرى مر السنين أخذن مني * كما أخذ السِّرارُ من الهِلال

وقال "ثم الأولون يتركونه بلا تنوين والآخرون ينونه، فيقولون في المنكَّر أقمت عنده سنيناً بالتنوين. يقول قائلهم (متى تنج حبوا من سنين ملحة). وقال آخر:

ألم نسق الحجيج سلى معدا سنينا ما تعد لنا حسابا

أما الحجازيون فيعربون الملحق بجمع المذكر السالم (سنين) بالحروف بالواو رفعاً وبالياء نصاباً وجراً. وعموماً فإن اللهجات في الملحق بجمع المذكر السالم خمس لهجات أشهرها التي ذكرها السيوطي. أما الثلاثة الباقية فهي: "لهجة تلزمه الياء وتجعل إعرابه في النون مع التنوين على أنه اسم مصروف، وهي لهجة بني عامر. وثانية تلزمه الواو وفتح النون، ولم ينسبها السيوطي لقبيلة بعينها. وثالثة تلزمه الواو وتعربه على

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

النون مثل (زيتون)، ولم تنسب لقبيلة ما"([lxxii]). ثانياً: أمس (اسماً وظرفاً) "فإن استعمل ظرفاً فهو مبني على الكسر عند جميع العرب" ... وإن استعمل غير ظرف فذكر سيبويه عن الحجازيين بناءه على الكسر رفعاً ونصباً وجراً كما كان حال استعماله ظرفاً". يقول الشاعر: ...(ومضى بفضل قضاؤه أمسِ)

أما بني تميم؛ فإنهم يوافقون الحجازيين حالة النصب والجر في البناء على الكسر ويعربونه إعراب مالا ينصرف حالة الرفع. ومنهم من يعربه إعراب مالا ينصرف في حالتي النصب والجر أيضاً يقول الشاعر: (إني رأيت عجباً مذ أمسا).

ثالثاً: الأسماء الستة: اللهجة الغالبة إن الأسماء الستة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء، إلا أن قبيلة طيّء تخالف ذلك لتعرب بعض الأسماء بالحركات مثل: (بأبِه اقتدى عَدِيٌّ) و(وَمن يشابهْ أبَهُ فما ظَلَمَ).

رابعاً: المثنى والملحق به: اللغة الغالبة رفعه بالألف وتنصبه وتجره بالياء نحو: (قال رجلان). ثم عرض اللهجات المشهورة في المثنى، حيث عزا لزوم الألف مطلقاً لكنانة وبني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان وفزارة، وعذرة، وقال إنها لغة معروفة.

خامساً: لغة أكلوني البراغيث عزا لقبيلة أسد اجتماع الظاهر مع الضمير فاعلاً للفعل وهذه الظاهرة عرفت عند النحويين بلغة أكلوني البراغيث وتشارك أسدا في ذلك قبيلة أزد شنوءة. هذه نتف من الظواهر اللغوية التي وردت في كتاب (همع الهوامع) وقصد الباحث أن يلفت الانتباه فقط بما قدمه علماء العربية من جهد في الدرس اللهجي:

قام الدكتور علاء الدين الحمزاوي بدراسة إحصائية للهجات التي وردت في كتاب (الهمع الهوامع) للسيوطي فوجد أن السيوطي قد اهتم بعزو اللهجات ما استطاع منها وأن يذكر الظواهر اللهجية في دراسته للغة العربية الفصحى ويستعمل دوما مصطلح لغة كذا ولغة الفلانيين، ذلك أنها المصطلح المستعمل في ذلك الوقت كما مر بنا.

يقول دكتور علاء: "استعمل السيوطي مصطلح (لغة) مكبرة ومصغرة ومثناة ومجموعة، وفي بعض المواضع استعاض عن ذلك بواحدة من هذه العبارات (بعض العرب)، (أكثر العرب)، (سُمع كذا)، (رد بالسماع) أو بـ(أسماء القبائل)، فتردد على لسانه: (الحجازيون، الحجازيين، أهل الحجاز) و(تميم)، و(بنو تميم)، و(بعض بني تميم)، و(أكثر بني تميم)، و(من بني تميم) تسع مرات، (بنو أسد وبعض بني أسد) ثلاث مرات، و(طيء) مرتين، و(قضاعة وكنانة وبني عامر أهل العالية) دون ذكر مصطلح (لغة) ([lxxiii]).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وذكر الباحث أن السيوطي استخدم مصطلحا آخر للدلالة على الأنماط الداخلية للهجة الواحدة وهو (لغيّة) وقال إنه استخدم مرة واحدة فقط بمقابل مصطلح (لغة) الذي تردد على لسان السيوطي ثلاثا وثمانين مرة، فقد ورد محددا بالإضافة أو الوصف وغير محدد، في حين أن مصغره ورد مرة واحدة ومثناه تكرر مرتين وجمعه تكرر خمس عشرة مرة، تمثل ثلاثا وثلاثين لغة أو لهجة وذكرت عبارة (بعض العرب) خمس مرات وعبارة (سمع، رد بالسماع) خمس مرات. أما أسماء القبائل فقد تردد ذكرها خمسا وعشرين مرة ووردت على هذا النحو: (الحجازيون-الحجازيين-أهل الحجاز) سبع مرات، و(تميم، بنو تميم، بني تميم وبعض بني تميم، وأكثر بني تميم، ومن بني تميم) سبع مرات أيضا. و(بنو أسد، وبعض بني أسد) ثلاث مرات وطيء مرتين، و(قضاعة وكنانة، وبني عامر وأهل العالية)([lxxiv]) هذه إحصائية ممتازة قدمها هذا الباحث لكني حاولت التأكد من الإحصائيات التي قدمها الدكتور الحمزاوي فوجد أن مصطلح (لغة) لم يرد مرة واحدة كما ذكره، ولكن ورد أربع مرات للدلالة على الأنماط اللهجية الصغيرة، أو لنقل الداخلية، يقول: "وَحكى الجْرْمِي أَن ذَلِك لغية،([lxxv]) "أَو كم الخبرية إِلَّا فِي لغية"([lxxvi]) "فِي لغية لخثعم:([lxxvii])"وَالرَّفْع حِينَئِذٍ لغية أنكرها الْكُوفِيُّونَ"([lxxviii]). وأن لفظ (لغة) للدلالة على لهجة ورد أكثر من مئة مرة. ولأن المجال لا يسع لذكر ذلك فرأيت التنبيه.

الخاتمة:

من العرض الذي تقدم نقف إلى بعض النتائج ألا وهي أن اللغة إذا كثر الناطقون بها، وانتشروا في أصقاع مختلفة ظهرت داخلها أنماط متباينة يميز كلا منها ووسما في الصوت أو البنية أو الركيب أو الدلالة فطن علماء العربية قديما لهذه الاختلافات ووسموها باللغات إذ أنهم يحدثون عن اللسان العربي ورغم أنهم لم يفردوا لدراسة اللهجات كتبا ومباحث إلا أنهم ناولوها بدقة في ثنايا حديثهم عن اللغة الموحدة، وهم في هذا متباينون (متقدمون ومتأخرون) وأبرزت هذه الدراسة جهود هؤلاء في دراسة اللهجات مثل: سيبويه، وابن جني، وابن فارس، وابن مالك، والسيوطي. والنتيجة أن دراسة اللهجات لم تكن من ابتكار المحدثين ولكن القدماء وضعوا نواتها كما رأينا عند السيوطي.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الهوامش:

1- عزمي عيال سليمان وجمال العريني: (2013) المحتوى اللهجي في كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري، مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد 85، السنة 37، كانون الأول 2013ص18

2- رابين1986 رابين:(1985): اللهجات العربية القديمة، تر،عبدالرحمن أيوب، دار السلاسل، الكويت، ص29-40).

3- المطلبي، غالب فاضل (1978) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط1، بغدادص34

4- ابن نديم: (1997) الفهرست تح، إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت لبنان ص58، 64،78

5- (ابن دريد:(1987) الجمهرة، تح، رمزي منير بعلبكي، دار الملايين، ط1، بيروت ص3\1295)

6- (نفسه: ص3\1318).

7- الزَّبيدي(بدون): تاج العروس، تح، مجموعة من المحققين دار الهداية، ص22\543)

8- (القفطي: 1424هـ ص262)

9- ديوان ذو الرمة: 1982: ص412)

10- الأزهري (2001) تهذيب اللغة، تح، محمد مرعب، دار إحياء التراث، ط1 – بيروت ص83

11- نفسه: ص6\46

12- نفسه: ص1/144

[xiii] 13- (البقرة الآية 13

14- المقري: ص2).

15- (الأزهري، الهذيب: ص1/7)

[xvi] 16- نفسه: ص4/117).

17- الأزهري: ص12/232

[xviii] 18- الراجحي، عبده(1996م،): اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ص54)

19- (عيال سليمان وجمال: ص22

20- السيوطي، عبد الرحمن، (1987) المزهر، ج1، المكتبة العصرية، (ب ط) بيروت،ص2/220).

21- (نفسه: ص2/239)،

22- (نفسه: ص2/240).

23- (نفسه: ص2/239).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

24- الجندي، أحمد (1978): اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ص157/1).
25- (الجندي: ص23)،
26- (سيبويه(1988): ص1\47، 51
27- (السيوطي: 1998:المزهر ص1\1).
28- (نفسه: ص1\118).
29- عيد، محمد(1981) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، عالم الكتب، ط1، القاهرة، ص72).
30- عمر، أحمد مختار: (1988): البحث اللغوي عند العرب، ط6، عالم الكتب، القاهرة، ص76).
31- (السيوطي: الاقتراح: ص20).
32- (أحمد بن فارس: 1997: ص28)،
33- (ابن جني(بدون): الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرةص 12/2).
34- (سيبويه: 1982: ص200/3).
35- (ابن جني، ص2\12).
36- (عيد، محمد: ص82)
37- (نفسه: ص81).
38- (نفسه: ص82).
39- (ابن هشام: 1985: ص1\245)
40- (عيد، مرجع، ص83).
41- (سيبويه: ص4\338
42- (ابن جني: ص78/3
43- (عمر، أحمد مختار2003، ص53)
44- (الجندي: 205/1).
45- (ابن فارس: ص5).
46- (نفسه: ص13).
47- (نفسه: ص32).
48- (ابن فارس(1997) ص32).
49- (نفسه: ص25)
50- (ابن فارس: ص25

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

51- (نفسه: ص25

52- (نوزاد، حسن أحمد:1996: ص201).

53- (ابن فارس: ص27).

54- (نفسه: ص28).

55- (ابن مالك: 1990: ص1/48،47).

56- (نفسه: ص1/26).

57-(نفسه: ص1/48).

58- (ابن مالك: (بدون) الكافية، ص4/1804).

59-(نفسه: ص2/567)

60- (نفسه: 2/952)

61- (نفسه: 1/681)

62- (نفسه: 4/1980).

63- (السيوطي(1998) المزهر 1/7).

64- (السيوطي: المزهر، 1/169).

65- (نفسه: 1/170)"

66- (نفسه:1/171).

67-(نفسه: 1/75).

68- (نفسه: 1/175).

69-(نفسه: 1/176)

70- (نفسه:1/177).

71- (السيوطي(بدون) ص1\173)

72- (الحمزاوي: بدون: ص12).

73- (الحمزاوي: ص110)

74- (نفسه: ص111).

75- (السيوطي، الهمع ص1\450)

76- (نفسه، 2\7)

77- (نفسه ص2\144

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

78- (نفسه ص373)

المصادر والمراجع:

الأزهري (2001) تهذيب اللغة، تح، محمد مرعب، دار إحياء التراث، ط1 – بيروت

الجندي، أحمد (1978): اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا،

ابن جني(بدون): الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرة

ابن دريد: (1987) الجمهرة، تح، رمزي منير بعلبكي، دار الملايين، ط1، بيروت

رابين:(1985): اللهجات العربية القديمة، تر،عبدالرحمن أيوب، دار السلاسل، الكويت

الراجحي، عبده(1996م،): اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية

الزَّبيدي(بدون): تاج العروس، تح، مجموعة من المحققين دار الهداية،

سيبويه: (1988): الكتاب ج4، تح، عبد السلان هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة،

السيوطي، عبد الرحمن، (1987) المزهر، ج1، المكتبة العصرية، (ب ط) بيروت،

عزمي عيال سليمان وجمال العريني: (2013) المحتوى اللهجي في كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري، مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد 85، السنة 37، كانون الأول 2013

عمر، أحمد مختار: (1988): البحث اللغوي عند العرب، ط6، عالم الكتب، القاهرة

عيد، محمد(1981) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، عالم الكتب، ط1، القاهرة

ابن فارس، أحمد(1997): الصاحبي في فقه اللغة العربية، بيضون، ط1، المغرب

المطلبي، غالب فاضل (1978) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط1، بغداد

ابن نديم: (1997) الفهرست تح، إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت لبنان

ابن هشام: (1985): مغني البيب، تح مازن المبارك، محمد علي، ط6، دار الفكر دمشق